المحاضرة الأولى: ماهية الشعرية.

مدخل:

تُعتبر الشعرية من الموضوعات التي لفتت وتلفت انتباه الباحثين والنقاد في العصر الحديث، باعتبارها تهتم بالقواعد العلمية والمعايير الجمالية وفنية للأدب، بما أنّ الشعرية حديثة النشأة في البيئة الغربية إلا أنّ جذورها تمتد إلى عصر أرسطو الذي يعتبر أب الفنون والبحوث الحديثة باعتباره الأب الروحي للشعرية الحديثة، حيث نجد كتاب فن الشعر (Poetics) "لأرسطو (384-322 ق.م) التأسيس الأول للنقد الأدبي الغربي بصفة عامة والشعرية بصفة خاصة.

وباعتبار الشعرية دخيلة على البيئة العربية نجد هناك تداخل في وسمها من طرف الباحثين بمصطلح يليق بها كنهج أو رؤية تهدف لبناء نظرية عامة تقوم على مفاهيم تضبط الابداع الفردي والجماعي لفئة معينة، لذلك تعددت الاصطلاحات وتنوعت حسب نظرة كل باحث وناقد في هذا المجال (كالبويطيقا والشاعرية والأدبية والشعريات وغيرها من المصطلحات).

1_ مفهوم الشعرية:

اتجه الأدب منذ نشأته إلى اتجاهين مهمين التنظير والتفسير، إلا أنّ التفسير يتعامل مع النصوص الأدبية مباشرة، أما التنظير فيُعطي السمات العامة الذي يتميز بها الأدب الجيد (الخالد)، كما تشكل في الوقت نفسه الأصول الجمالية التي ينتمي إليها النص، وهذا مجال آخر مختلف عن مجالات دراسة النص وهو مجال الشعرية[1] والشعرية مصطلح مرادف للشعر عند معظم الدارسين العرب ولقد ورد في تراثنا ما يدل على الشعرية بمفهومها الحالي، ذلك أن

الشعرية اسم مشتق من كلمة شعر، وقد أضيفت إليها اللاحقة "ية" لإضفاء الصفة العلمية تماما كما لو يقال علم الشعر، وذلك جريانا على نحو مفهوم الأسلوبية والألسنية والأدبية.. ومفهوم الشعرية نابع من الشعر، وكامن فيه عبر التاريخ حيث تعود أصولتواجد هذا المفهوم إلى كتاب الشعر لأرسطو .[ii]

2- مفهوم الشعرية عند العرب:

حاول رولان بارت تحديد الشعرية في مؤلفه -الكتابة في درجة الصفر- وذلك من خلال" تفريقه بين اللغة والأسلوب والكتابة ، وتأكيده على مغايرة الشعر للنثر، وأن الشعرية تتحدد على نحو أوضح في الأدب الحديث ، الذي تنتج الكلمات فيه نوعا من التواصل الشكلي يولد بدوره كثافة شعورية يستحيل وجودها بدون تلك الكلمات، وعلى هدا الأساس فالمفردة ليست فيها شعرية بذاتها، وإنما تقتصر وظيفتها على كونها إشارة لشيء ما ، وتكتسب شعريتها بدخولها مع مفردات أخرى تشكل معها عالقة شعرية"[iii]

فالشعرية عنده " تنشأ على مستوى التدلال الناشئ عن تعالق الدلالات على نحو أو آخر"[iv]

وينطلق جون كوين في" مقاربته للشعرية من البحث في الأسلوب الذي يولد بدوره الناتج الدلالي عن الممارسات اللغوية داخل الشعر، ومن ثم يتحدد مجال الشعرية عنده في البحث عن الخصائص المكونة لوجود لغة الشعر، فهو يراها–"متوسط التردد لمجموعة من المتجاوزات التي تحملها اللغة الشعرية بالقياس إلى لغة النثر "[v]، يؤكد جون كوين على أن المجاوزة (التي تقارب المجاز بمفهومه الواسع في الثقافة العربية) في النثر الأدبي ليست منعدمة ولكنها متجهة نحو الصفر على خالف الشعر الذي تتجه فيه المجاوزة نحو القمة، وبالتالي كلما اقتربت من معدلاتها العليا كانت الشعرية أكثر تحققا. وعند تودوروف ترتبط الشعرية بكافة علوم اللغة، حيث لم تعد الشعرية قصرا على الشعر، وإنما يتسع مفهوم الشعرية ليصبح شاملا كل الممارسات اللغوية. [vi]

2-2- مفهوم الشعرية عند النقاد العرب:

لقد عالج المنجز العربي القديم الشعرية، وإن كان في مسميات أخرى، فأوردها محمد بن وهب في كتابه نقد الشعر بمسمى -وصف الصناعة- وتحدث عنها ابن سلام الجمحي في كتابه الطبقات تحت مسمى- صناعة الشعر- واعتمد الجاحظ ثم أبو هلال العسكري المصطلح ذاته في مؤلفاتهم، وأطلق عليها ابن طباطبا -عيار الشعر- وعالجها الجرجاني تحت مسمى-النظم– وهكذا ".[vii]

ويعد ابن سلام الجمحي (232/139) من أوائل النقاد الذين عالجوا الشعرية تحت مسمى صناعة الشعر في كتابه طبقات فحول الشعراء. فأصبح الشعر عنده" ، صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم

كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقنه العين ومنها ما تثقفه الأذن ومنها يثقفه اللسان.. فمن ذلك اللؤلؤ والياقوت ال يعرف بصفة والوزن دون المعاينة ممن يبصره ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجها وزائفها ".[viii]

ثم تبلور مفهوم صناعة الشعر عند الجاحظ (255هـ) الذي وصف الشعر بالصناعة في معرض حديثه عن قضية اللفظ والمعنى فقال: " فإن الشعر صناعة، وضرب من النسيج، وجنس من التصوير ."[ix]

ويذهب قدامة بن جعفر (275هـ /337هـ) نفس المذهب في كتابه نقد الشعر إذ يقول: " للشعر صناعة، مثل سائر الصناعات والمهن وهي صناعة لها طرفان: أحدهما غاية الجودة، والآخر غاية الرداءة وبينهما حدود تسمى الوسائط "[x]. ولقد أشار الجاحظ إلى بعض هذه المعايير حين تحدث عن اللفظ والمعنى حيث قال: والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والأعجمي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة املاء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإن الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير ".[xi]

وغيره من النقاد الذين تناولوا قضية اللفظ والمعنى، التي أسالت الكثير من الحبر في التراث النقدي العربي، لا يتسع المقام لبسطها هنا. وانجر عنها المفاضلة في الأحكام بين الانتصار للمعنى على حساب اللفظ أو العكس. وكانت هذه الآراء النقدية المبثوثة في ثنايا الكتب، بمثابة الخطوة التأسيسية للخطاب النظري للشعرية العربية، مهدت الطريق لنقاد آخرين كانت لهم الريادة في ميدان النقد والشعرية العربية. وعلى رأسهم ابن طباطبا وقدامة بن جعفر .

الحواشي:

[i] – ينظر: ألفت كمال الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين دار التنوير للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط1، 1983م، ص 7.

[ii] – محمد مصابيح ، الشعرية بين التراث والحداثة، موقع أدب وفن، 10 يناير2009 .

[iii] – رولان بارت، الكتابة في درجة الصفر، تر: محمد برادة، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط ، ط3، 1985م، ص13وما بعدها.

[iv] – محمود الضبع، غواية التجريب، حركة الشعرية العربية في مطلع الألفية الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015م، ص18.

[v] – جون كوين، بناء لغة الشعر، تر:أحمد درويش، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، 1990م ، ص24.

[vi] – محمود الضبع ،غواية التجريب، ص18.

[vii] – المرجع نفسه: ص19.

[viii] – محمد بن سالم الجمحي، طبقات فحول الشعراء قرأه وشرحه محمود شاكر، دار المدني ، دط، دت، جدة، ص5.

[ix] – الجاحظ البيان والتبيين، دارالفكر للجميع، بيروت، ج1، 1969، ص76.

[x] – قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: عبد المنعم خفاجي، دارالكتب العلمية، بيروت، ص64.

[xi] – الجاحظ البيان والتبيين: ص74.